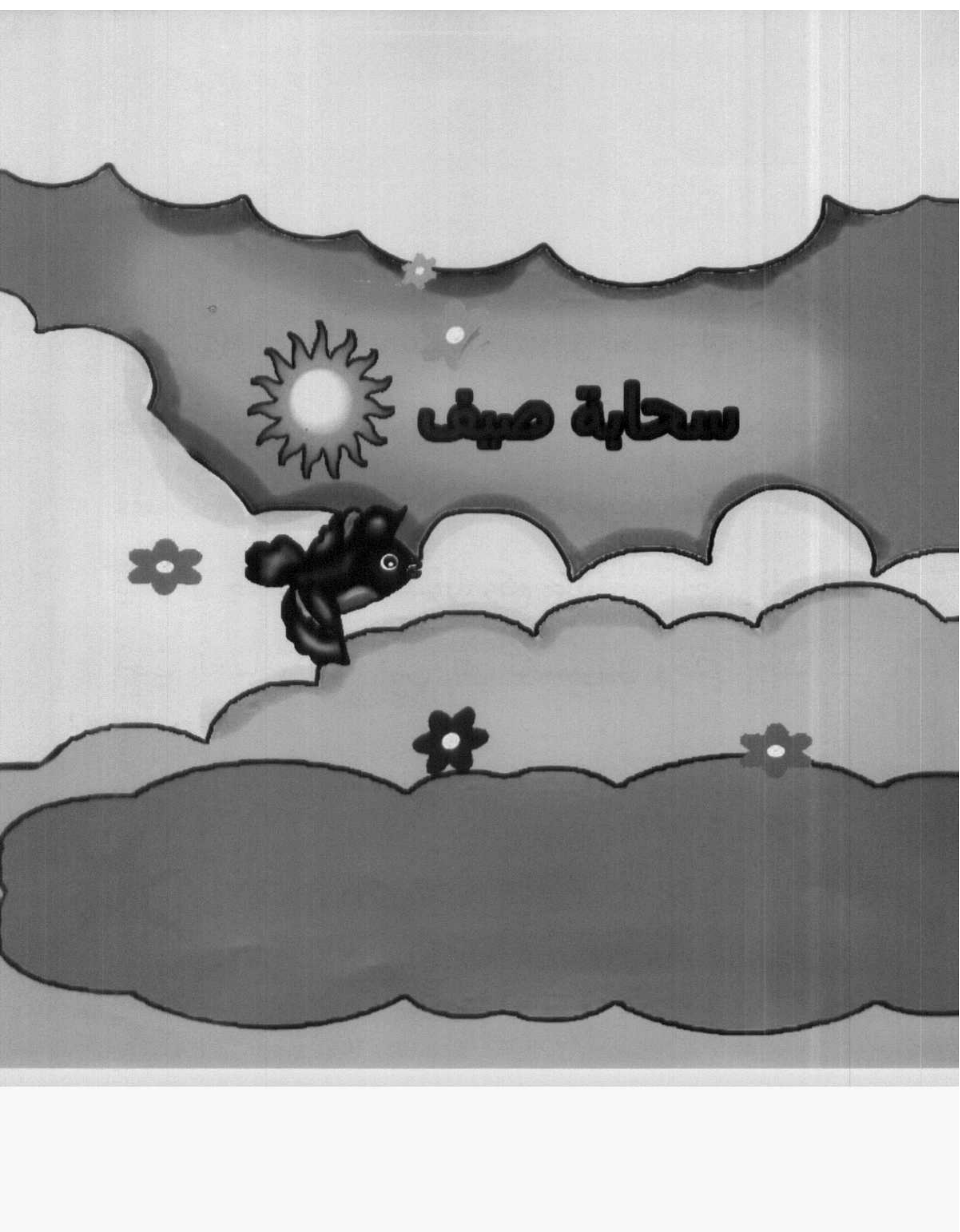
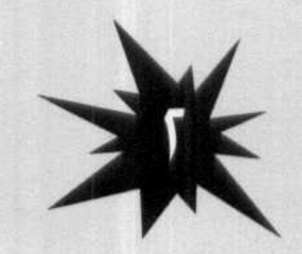
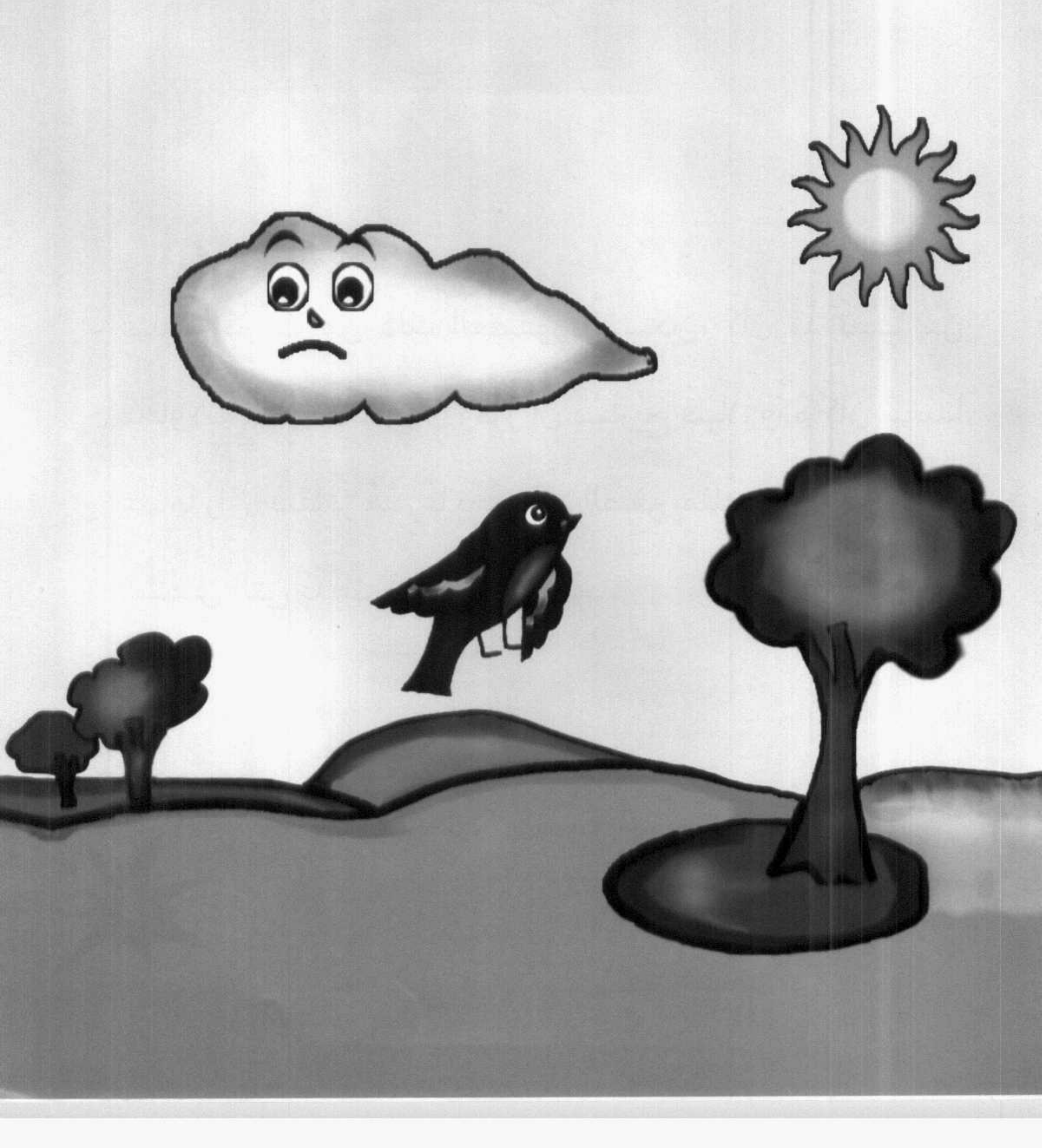


سحابة صيف
تأليف
تامر عبد الحميد
رسـوم
ساره حسان
فكر يصنع حضارة

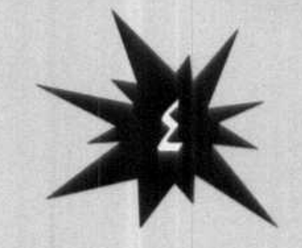

سحابة صيف

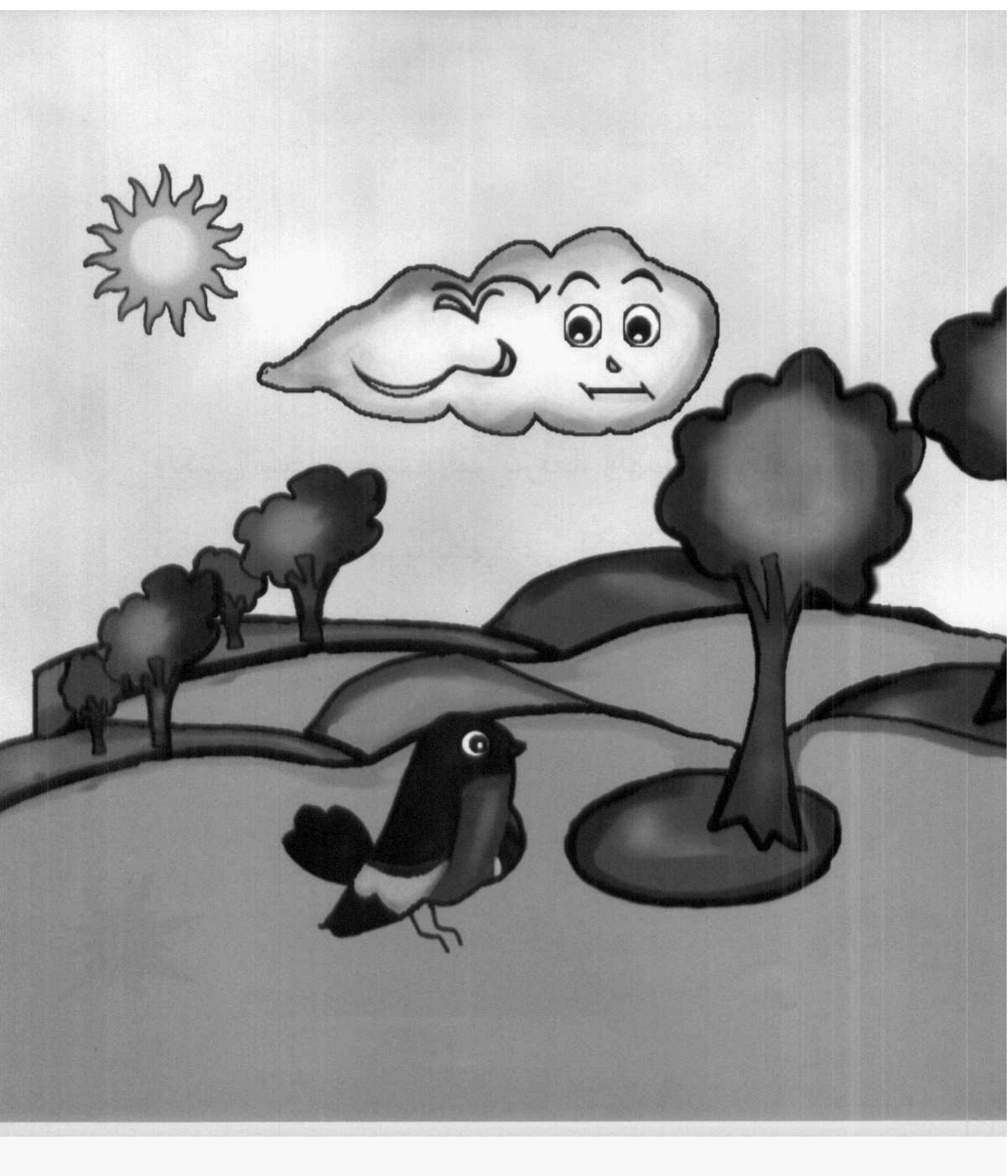
ظَنَنْتُ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ - عِنْدَمَا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعِيْدٍ - أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ طَعَامِهِ وَلَكِنِّي لَمْ أَلْبَثْ أَنِ اكْتَشَفْتُ أَنَّهُ لَاْ يَسْتَطِيْعُ الْطَّيَرَاْنَ، فَقَدْ كَاْنَ يُحَاْوِلُ أَنْ يُرَفْرِفَ بِجَنَاْحَيْهِ، وَيَقْفِزَ دُوْنَ فَاْئِدَةٍ.. إِذْ يَبْدُوْ أَنَّ جَنَاْحَهُ كَانَ مَكْسُوْرًا، وَكَمْ حَزِنْتُ مِنْ أَجْلِهِ؛ فَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ الْعَصَاْفِيْرَ جِدًّا؛ فَهِيَ الَّتِي تُؤْنِسُنِي فِي وَحْدَتِي، وَتُشَارِكُنِي فِي رَحَلَاتِي.

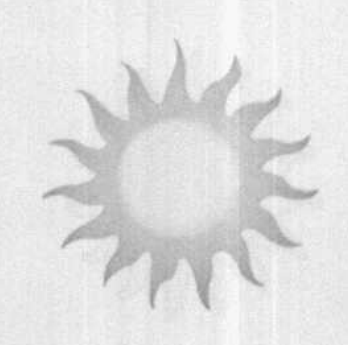




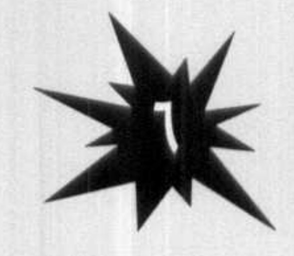
عِنْدَمَا اقْتَرَبْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعُصْفُوْرِ الْمِسْكِيْنِ، كَانَ قَدْ تَعِبَ مِنْ مُحَاوَلَاْتِهِ الْيَائِسَةِ لِلطَّيَرَانِ وَقَرَّرَ أَنْ يَسْتَرِيْحَ قَلِيْلًا، وَكَمْ كَانَ سَعِيْدًا عِنْدَمَا رَآنِي، فَتَقَافَزَ مُسْرِعًا نَحْوَ ظِلِّيَ الصَّغِيْرِ مِثْلِهُ، هَارِبًا مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ الَّتِي بَدَأَتْ فِي الازْدِيَادِ.

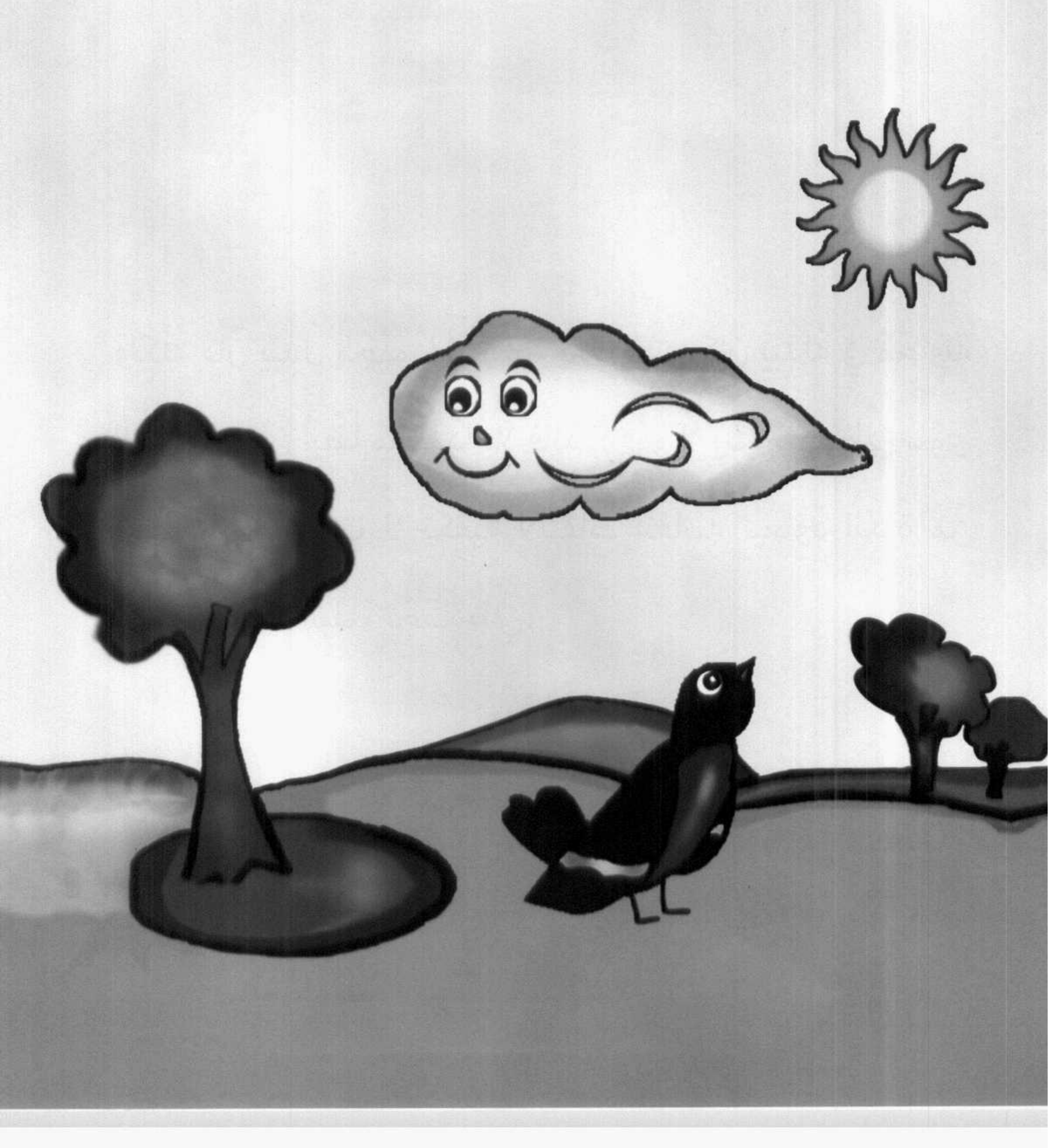


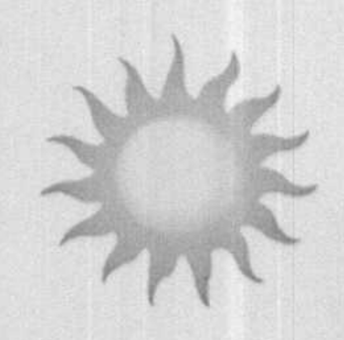




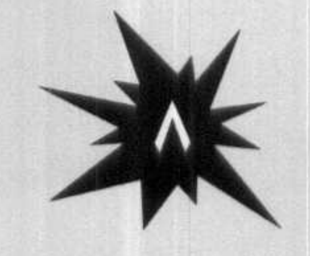
وَلَكِنَّنِي سَحَابَةُ صَيْفٍ أَمُرُّ سَرِيْعًا، وَلِهَذَا لَمْ يَكَدِ الْـمِسْكِيْنُ يَتَوَقَّفُ تَحْتِي مُحْتَمِيًا بِظِلِّي حَتَّى اكْتَشَفَ أَنَّنِي تَرَكْتُهُ فَحَاوَلَ اللِّحَاقَ بِي.

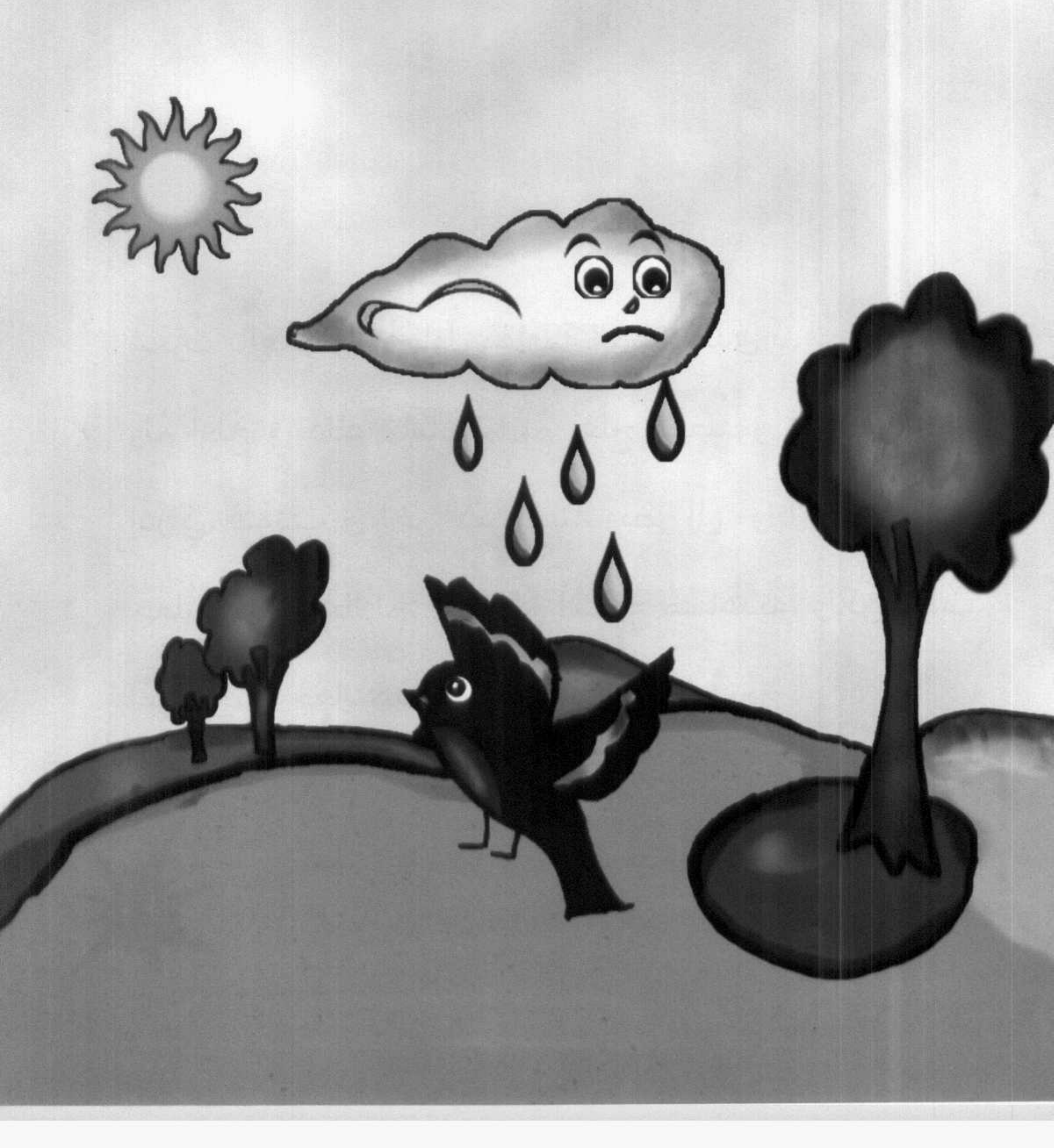




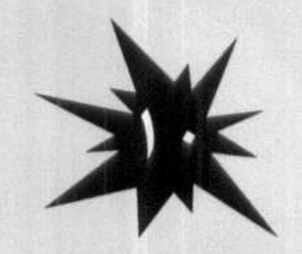


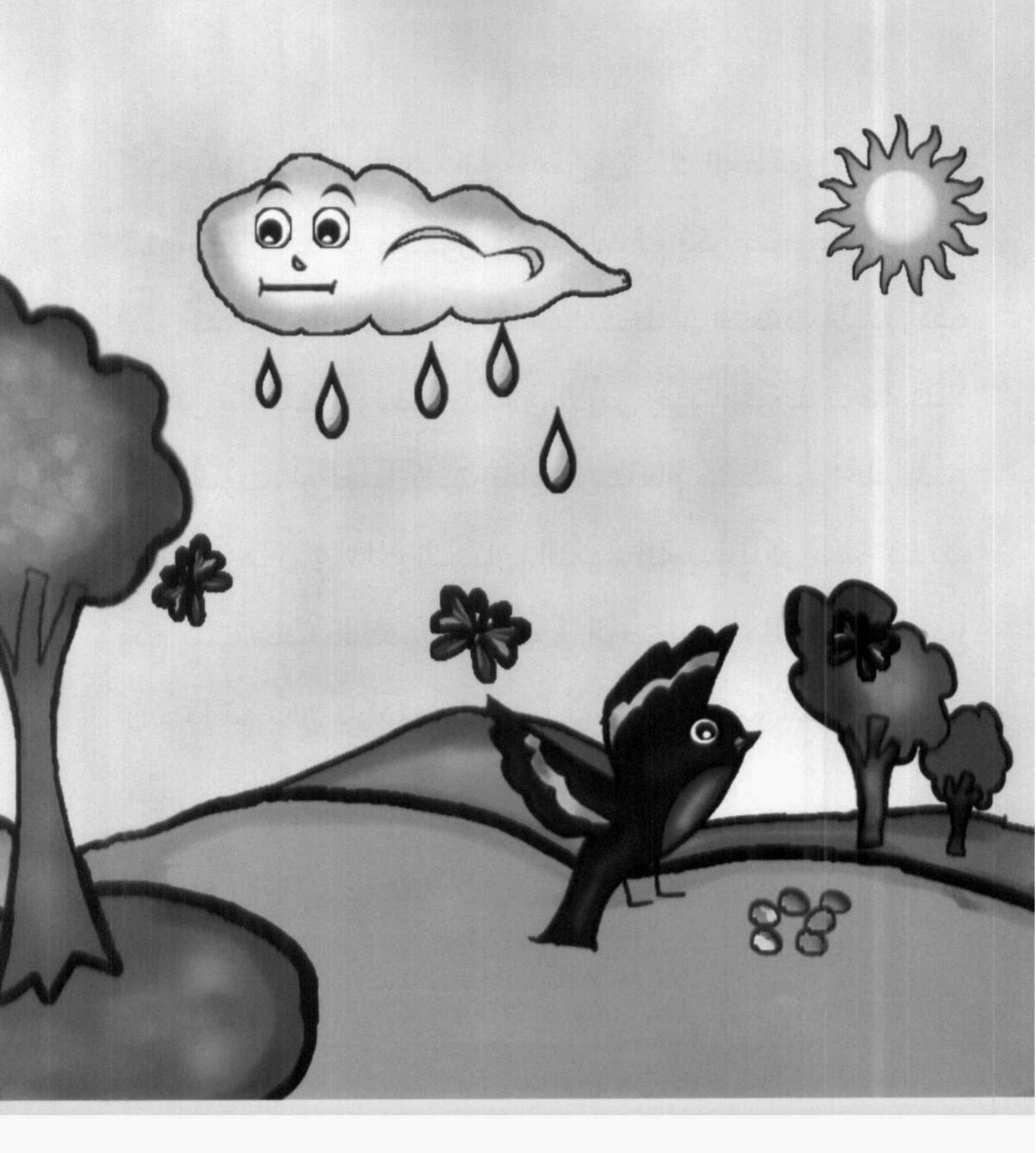
وَلَكِنَّهُ كَانْ يَبْذُلُ مَجْهُوْدًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانْ يَبْذُلُهُ فِي مُحَاوَلَةِ الطَّيَرَانِ، وَكَانَ أَيْضًا مَجْهُوْدًا بِلَا فَائِدَةٍ؛ فَهُوَ لَا يَسْتَمْتِعُ بِظِلِّي سِوَى لِحَظَاتٍ مَعْدُوْدَاتٍ لَا تَكْفِيْهِ لِالتِقَاطِ أَنْفَاسِهِ لِيُعَاوِدَ الْكَرَّةَ مِنْ جَدِيْدٍ مُحَاوِلًا البَقَاءَ تَحْتَ ظِلِّي.



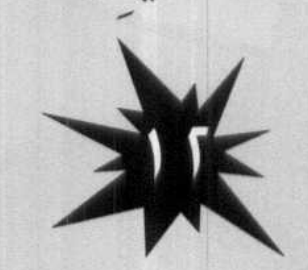


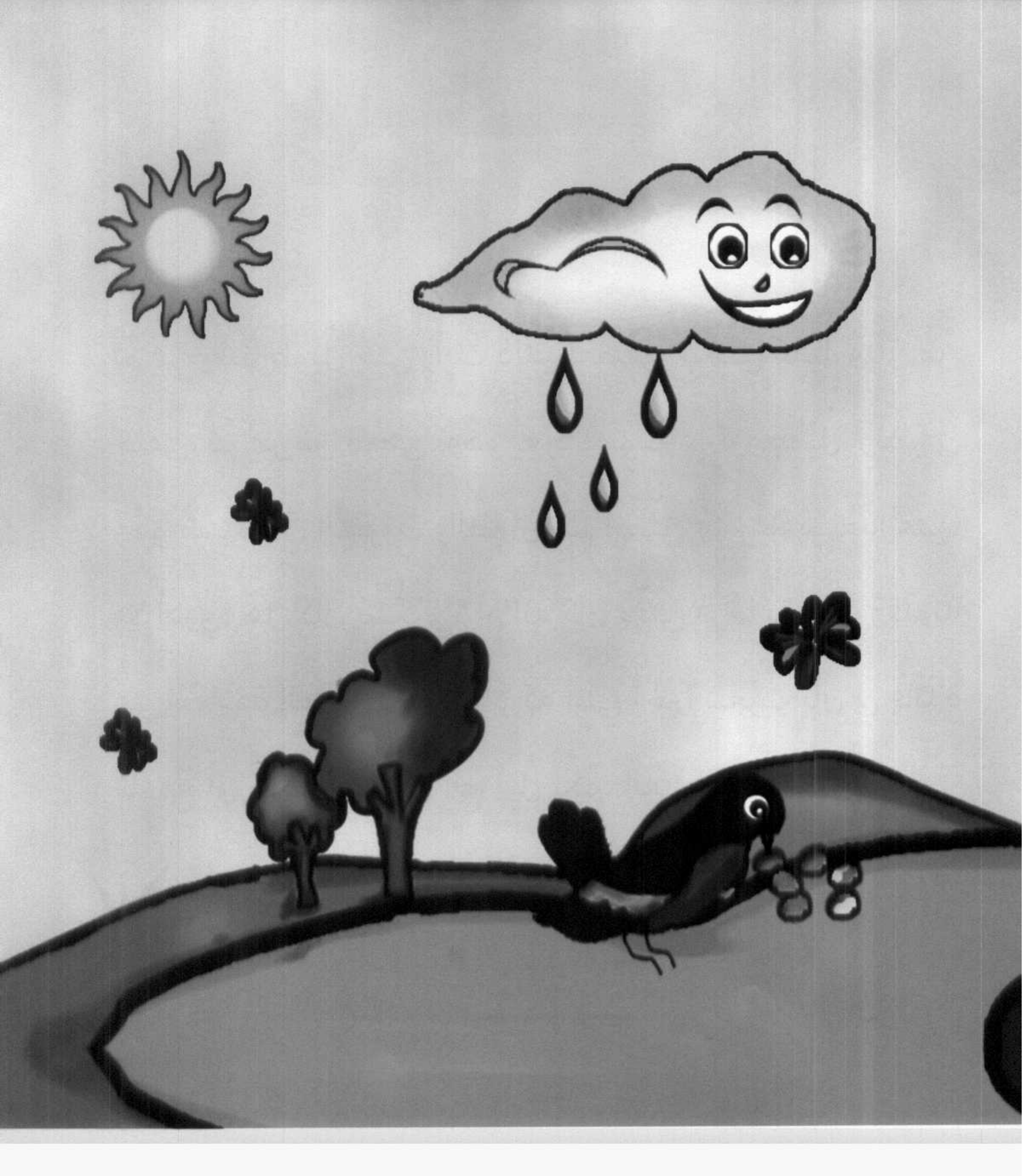
شَعَرْتُ بِالعَجْزِ وَأَنَا أَحَاوِلُ مُقَاوَمَةَ النَّسِيمِ الَّذِي يَدْفَعُنِي لِلأَمَامِ، وَلَمْ أُفْلِحُ فِي ذَلِكَ تَمَامًا، كَمَا لَمْ يُفْلِحِ العُصْفُورُ فِي الطَّيَرَانِ، أَوْ إِدْرَاكِي، فَتَوَقَّفَ فِي آخِرِ الأَمْرِ لَاهِثًا، وَنَظَرَ إِلَيَّ -وَأَنَا أَبْتَعِدُ- نَظْرَةً جَعَلَتْنِي أَشْعُرُ بِالأَلَمِ، لِأَنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ مُسَاعَدَتَهُ، وَلَكِنْ حَدَثَ أَمْرٌ غَرِيْبٌ، جَعَلَ هَذَا الإِحْسَاسَ يَتَلَاشَى بِالتَّدْرِيْجِ .





كُنْتُ- كَمَا أَخْبَرْتُكُمْ فِي البِدَايَةِ - أَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ العُصْفُورَ لَا يَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ؛ لِأَنَّ جَنَاحَهُ مَكْسُورٌ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا، كُلُّ مَا فِي الأَمْرِ أَنَّهُ كَانَ جَائِعًا؛ نَعَمْ، جَائِعًا جِدًّا، فَبَعْدَ أَنِ ابْتَعَدْتُ قَلِيلًا، وَكَفَّ هُوَ عَنْ مُلَاحَقَتِي، وَنَكَّسَ رَأْسَهُ فِي الأَرْضِ حَزِينًا؛ فَوَجَدَ تَحْتَهُ قَلِيلًا مِنَ الحُبُوبِ، أَوْ لَعَلَّهَا كَانَتْ بَقَايَا مِنْ طَعَامٍ سَقَطَ مِنْ أَحَدِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي ذَلِكَ المَكَانِ، المُهِمُّ أَنَّهُ بَدَأَ يَأْكُلُ بِنَهَمٍ شَدِيدٍ، وَكَمْ كُنْتُ سَعِيدَةً؛ لِأَنَّنِي سَاعَدْتُهُ فِي الوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ المَكَانِ، مَعَ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِي، وَلَكِنَّ مَا يُهِمُّنِي الآنَ هُوَ أَنَّنِي اطْمَأْنَنْتُ عَلَيْهِ.





لَمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيْلٌ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ العُصْفُوْرَ يُحَلِّقُ عَالِيًا، وَيَأْتِي مِنْ خَلْفِي، ثُمَّ يَمُرُّ مِنْ تَحْتِي، وَهُوَ يُغَرِّدُ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَجَمِيْلٍ، وَنَظَرَ لِي وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي التَّغْرِيْدِ، وَالطَّيَرَانِ، ثُمَّ انْطَلَقَ مُسْرِعًا، مُبْتَعِدًا عَنِّي، وَلَا أَدْرِي؛ هَلْ كَانَ يَشْكُرُنِي؟ أَمْ أَنَّهُ كَانَ يُغَنِّي فَرِحًا بِشِبَعِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى مُعَاوَدَةِ الطَّيَرَانِ؟ كُلُّ مَا أُدْرِكُهُ أَنَّنِي أَخِيْرًا شَعَرْتُ بِأَنَّ لِي فَائِدَةً مَا، مَعَ أَنِّي سَحَابَةُ صَيْفٍ، أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: إِنَّهُ يَوْمٌ غَرِيْبٌ...

